من تراث القضية الفلسطينية

د. شكري نجّـار

لم يقاس بلد عربي الأمرين، منذ تكوينه، باسم التاريخ، مثلما قاست فلسطين، إذ اتخذت القوى الصهيونية والاستعمارية من تزييف التاريخ باباً تتسلّل منه لتحقيق مآربها. وربما يرجع السبب في استمرار هذه الظاهرة الشاذة إلى أن فلسطين تنعم بمركز جغرافي عظيم الجاذبية، وسط مجتمع يحفل بناؤه السياسي بتراث الديانات السماوية الكبرى الثلاث؛ مما أفسح في المجال كي يبقى هذا المركز سبيلاً لانتحال الدعاوى الباطلة التي تبرر للطامعين الارتكابات التي أدت إلى الوضع الذي نتألم له اليوم.

في بحثنا اليوم، سوف نسلّط الضوء على ناحية هامة من تراث هذه القضية، وأقصد بها دراسات المؤرخين الأوائل من العرب، لما فيها من عودة إلى الجذور، وبغية إبراز استمرارية خط مقاومة الشعب الفلسطيني لاغتصاب أرضه.

لقد شهد تاريخ فلسطين حشوداً من المؤرخين الذين كتبوا عن العدوان المتواصل الحلقات عليها. ومؤلفاتهم تعدّ من الوثائق الهامة التي لابدّ من دراستها وإذاعتها في هذه المرحلة من مراحل القضية الفلسطينية؛ وذلك لأنها تحوي تحليلاً شاملاً لطبيعة الغزو الدائم لأرض فلسطين، بما يجعل خبرة الآباء والأجداد قاعدة عريضة تستطيع حركة التحرير الفلسطينية اليوم الاستنارة بها.

هذه القاعدة العريضة بدأت بالتكوين في القرن الثاني عشر؛ وذلك حين ظهرت حركة الافاقة العربية لخطورة الزحف الصليبي على فلسطين وبلاد الشام، وانتهت في القرن الثامن عشر الذي شهد يقظة الأمة العربية ضد التدخل الأوروبي الذي كان أخطر صوره الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين.

استهلت تلك السلسلة من مؤلفات المؤرخين العرب أبحاثها بشرح وجهة نظرها. وكان من اروع الحجج التي استند إليها المؤرخون المراسلات التي تبودلت بين صلاح الدين الأيوبي ورتشارد قلب الأسد، ملك انكلترا، غداة استرداد العرب لبيت المقدس،